المقتطف

الجزء الثاني عشر من المجلد الثالث والثلاثين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٧ ذي القعدة سنة ١٣٢٦

الوزارتان المصريتان

استعفت الوزارة الفهمية في ١٠ نوفمبر واسند مقو الخديوي مسند رئاسة النظار الى سعادة بطرس باشا غالي وقد وصفنا الوزارتين في المقطم الصادر في ١١ و١٢ نوفمبر ورأينا ان ننشر هنا خلاصة ما نشرناهُ هناك ونضيف اليهِ ما تتم بهِ الفائدة

١ وزارة مصطفى باشا فهمي

لم تطل مدة وزارة مصرية قدر ما طالت مدة الوزارة الفهمية الاخيرة فقد قامت اثر استعفاء الوزارة النوبارية الاخيرة في ١١ نوفمبر سنة ١٨٩٥ واستعفت في ١١ نوفمبر سنة ١٩٠٨ فدامت ثلاث عشرة سنة تماماً ورأت مصر في ايامها ما رأت من دلائل الاصلاح والتقدم وتمتعت بما تمتعت بهِ من سني الرخاء والرفاه وقاست في اواخرها ما تقاسيهِ الآن من شدائد الازمة المالية وما تشكو منهُ من نتائج الطيش والغرور

وقد امتازت هذه الوزارة عن سواها من الوزارات المصرية بانها كانت وزارة دستورية بحتة فعلاً ولو لم تكن كذلك نظرًا . فاننا لم نرَ في الشرق ولا في غير الشرق ايضاً وزارة لازمت حدود الدستور ملازمة اتم من الوزارة الفهمية لها . ولما كانت الخطة الدستورية غير مألوفة عند اهل الشرق وكان الاكثرون منهم قد ربوا على استعظام الجبروت والبأس والقوة الاستبدادية لم يقدروا هذه المزية في الوزارة الفهمية حق قدرها ولا عدوا احترامها التام للدستور والنظام فضيلة تشكر بل حسبها كثيرون منهم ضعفاً . وتأتى عن ذلك أن قامت عليها قيامة الناقدين والطاعنين والذامين فلم يلقوا منها الاَّ حلم الدستور وصبرًا على الجور من غير تعمد الاذى او الانتقام لنفسها بضرر . فزادهم ذلك تمادياً في التطاول عليها وجرأة على القدح فيها وذمها وتشهيرها في بلاد لا تحسب القوة الاَّ بالبأس والبطش كما تقدم

ولم تعتد المحافظة على الامن والطاعة الاَّ خوفاً من سطوة الحكومة وخشية من هيبتها ورهبتها فكان ذلك باعثاً على تقليل هيبة الحكومة في نفوس الرعية وبالتالي على اضعاف نفوذها وكسر الشكيمة التي تكبح جماح الاشتياء وتردعهم عن ارتكاب المعاصي والموبقات

ولهذا كانت ايام الوزارة النهيية ايام تقدم في الاصلاح والنظام بوجه الاجمال الاَّ في مسألة الامن العام . فانهُ لما استعفى المرحوم نوبار باشا من وزارتهِ جرى لنا معهُ حديث خصوصاً في المقطم الذي صدر في ١٢ نوفمبر سنة ١٨٩٥ بقولك " ويرى دولتلو نوبار باشا ان نظام الداخلية الذي وضعهُ في وزارتهِ ضامن لذاتهِ دوام الاتفاق والسكون بعد وزارتهِ كما كانا في ايام وزارتهِ فقد انتفت بهِ اسباب التنازع والتنافس بين رجال الادارة ورجال الضبط او بينهم وبين رجال النيابة كما انتفت بهِ اسباب الجفاء بين الوطني والاجنبي . . وان هذا النظام الجديد سد ابواب الرشوة وابواب المطاعنة بين الطامعين في الشيخة او العمدية . واصبحت العبرة الآن بالنظام وليس بالذين يرئسونهُ " قال " ولو كنت اعلم ان ذلك ليس هو ما يقتضيهِ النظام الجديد لما عجلت في الاستعفاء . ومتى استقامت أمور الداخلية امنت البلاد شرور الفتن والاضطرابات " . الى ان قلنا " غير ان ما يراهُ دولتلو نوبار باشا من هذا القبيل لا يراهُ بعض اقطاب الادارة والسياسة عندنا والحكم في ذلك انما يكون بالاختبار والامتحان على مرور الزمان "

هذا ما ذكرناهُ منذ ثلثة عشر عاماً وقد اثبت الاختبار والامتحان على مرور هذه الاعوام ان القطر تقدم بمساعي حكومتهِ من كل جهة الاَّ من جهة الامن العام . ولولا ذلك لكان غاية ما نطلبهُ لمصر من الآن الى آخر الزمان ان توفق وزاراتهُ في مقاصدها ومساعيها كما وفقت الوزارة النهيية الاخيرة

ولا يخفى انهُ لولا اضعاف هيبة الحكومة يتطاول المتطاولين عليها في جرائدهم بالشتم والقدح والتعيير وهي لا تبدي ولا تعيد لما انقوّضت اركان الامن ولولا ذلك لما ساءت سمعة القطر المصري في اوربا حتى ضنَّت الدوائر المالية عليهِ باموالها فاشتدَّت الضائقة على اهلهِ

ويقيننا ان الوزارة النهيية لم تصبر على شغب الشاغبين وتطاول المتطاولين عليها لانها رأت في ذلك نفعاً للبلاد او لانها لم ترَ منهُ ضرراً كلاَّ بل لان الحكومة المحتلَّة اوجبت عليها ذلك مراعاة لحريَّة الصحافة وجريًا على ما هو جارٍ في بلادها . ومن الغريب ان الوزارة النهيية استطاعت ان تصبر على هذه المضض ثلاثة عشر عاماً وان ينشأ في عهدها كثير من اكبر الاعمال وانفعها للقطر

وغني عن البيان ان اشهر رجال هذه الوزارة بل رجالها الذين كان عليهم المعول اثنان قديمان وواحد جديد فالقديمان عطوفة مصطفى باشا فهمي رئيسها وعطوفة بطرس باشا غالي ناظر خارجيتها والجديد سعادة سعد باشا زغلول ناظر معارفها . فاول الثلاثة خرج باستعفائه من خدمة الحكومة المصرية واما الاخران فباقيان اليوم في خدمة وطنهما

اما عطوفة مصطفى باشا فهمي فقد قال المقطم عنهُ يوم قيام وزارتهِ سنة ١٨٩٥ « وحسبنا ان نظهر البهجة والسرور بان الامانة قد لقيت من كرم الامير المعظم جزاءها من الثقة والاكرام وان الصدق في النصيحة والاخلاص في الخدمة قد حلاَّ عند سموهِ محلهما من الاعتبار واصبح عطوفة مصطفى باشا فهمي اليوم عنوان الامانة ومثال المصريين على عهود الوفاء والاخلاص واصبحت الامة من سواحل بحر الروم الى اقاصي الصعيد تشهد بلسان واحد انهُ خادم الامير والامة بالصدق والامانة وانهُ الوزير الذي نظر الى بعيد فقصد دفع القوائل وتدارك الخطوب بنطق يذلك اليوم العدو قبل الصديق و يعلمهُ البعيد كالقريب »

وقد كان قول المقطم هذا بعد انحصار عطونتهِ بسجاياهُ الفريدة وصفاتهِ السامية على الدسائس والوشايات والمكايد والسعايات

ثم مرت الايام والاعوام ونحن لا نرى في عطوفتهِ الاَّ كل ما يؤيد اعتقادنا بسمو اديهِ وكرم اخلاقهِ وشرف صفاتهِ فهو الوزير الدستوري العاقل الحكيم والمشير الصادق الامين والحاكم العادل المستقيم بكل معنى من معاني هذه الكلمات . ونحن نحمد الله أن كان نصيب المقطم من يوم انشائهِ الى اليوم الاعتراف بحسن اوصاف رجل فاضل عاقل ووطني مستقيم صادق مثل عطوفتهِ . ولسنا ندعي لعطوفتهِ الكمال فسبحان من تفرد بالكمال ولا نجهل انهُ يعوز لطرفتهُ الشريفة بعض ما زاد في الذين تقدموهُ من الاقدام وقوة الحزم ولكنهُ في ما سوى ذلك الوزير الذي لا بد ان يذكر الوطن عقلهُ وحكمتهُ وفضائلهُ وفواضلهُ وخدمهُ الجليلة كلما ارتاق ابناؤهُ في البحث عن حقيقة اعمال وزرائهم والحاكم الذي نؤمل ان يكثر امثالهُ بين حكام مصر في العدل والاستقامة والصدق والامانة والغيرة الحقيقية على الوطن والامة

---

٢ وزارة بطرس باشا غالي

لما وقع الاختيار على سعادة بطرس باشا غالي لرئاسة النظار صدرت اليهِ الارادة الخديوية السنية بذلك وهذا نصها

سعادة بطرس باشا غالي حضرتلري . بناء على ماهو معلوم فيكم من الكفاءة والدراية ووثوقنا بكم قد وجهنا لعهدتكم مسند رئاسة مجلس نظار حكومتنا وعلى هذا تكلفكم بتشكيل

هيئة نظارة جديدة وكونوا على يقين من تعضيدنا ومساعدتنا اياكم في جلائل الاعمال التي عهدنا بها اليكم ونسأل الحق جلت قدرتهُ ان يوفقنا جميعاً لما فيهِ خير البلاد ورفاهية العباد انهُ نعم المولى ونعم النصير عباس حلمي

تحريرًا في ١٢ شوال سنة ١٣٢٦ و ١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٨

ترفع سعادة بطرس باشا غالي العريضة الآتية الى سموه

مولاي

قد تفضلت ذاتكم العلية بتوجيه رئاسة مجلس النظار الى عهدتي وكلفتني بتأليف هيئة نظارة جديدة فالتشرف بان ارفع الى مقام سموكم اسماء من تشكل منهم هذه النظارة وهم اصحاب السعادة سعد زغلول باشا ناظر للمعارف وحسين رشدي باشا ناظر للحقانية ومحمد سعيد بك ناظر للداخلية واسماعيل سري باشا ناظر للاشغال العمومية والحربية واحمد حشمت باشا للمالية

فان حازت هذه التعيينات القبول لدى سدتكم العلية التمس صدور الامر الكريم باعتمادها وتقليدي نظارة الخارجية كما تعطف جنابكم الرفيع وعهد الي برئاسة مجلس النظار والقي مع غاية الاجلال لمولاي عبدهُ الخاضع الامين

بطرس غالي

هذا وسعادة بطرس باشا غالي اشهر من نار على علم سياسي محنك واداري مجرب وعاقل من اعظم عقلاء هذا القطر لا يجد الانسان اقدر منهُ على التوفيق بين المختلفين وتسيير سفينة الحكومة التي يضبط دفتها بالسلامة والامن بين الانواء والزوابع والعواصف والزعازع وزد على ذلك انهُ من اقدر الرجال على ادراك اقدار الرجال وابصرهم بمصير الاحوال وابعدهم نظرًا في عواقب الامور. وقد قضى عمرهُ في الوظائف والمناصب ومعاشرة الامراء والوزراء ومخالطة خاصة الامة وعامتها وجاب الاقطار في الاسفار وحضر مجالس الملوك الكبار ودرس كل درس في اوسع مدرسة من مدارس الاختبار حتى صار من ادرى اهل وطنهِ بالسياسة التي تنفع اميرهُ ووطنهُ وامتهُ والسياسة التي تضرهم وعلم ان معاملتهُ هي مع دولة كلتها كلمة واحدة لا ثنتان والظاهر والباطن في معاملتها سيان . فلذلك اصبح احسن خلف لاحسن سلف ونؤمل ان مصر تنتفع في وزارتهِ بكل ما ينفعها من ضروب الاصلاح وتجتنب كل ما يضرها من عوامل الخطاء وبوادر الطيش والغرور

واما سعادة سعد باشا زغلول فالحق يقال ان بقاءهُ في نظارة المعارف سرنا جدًّا وان الحكومة والامة لم تحرما خدمة شهم مقدام عاقل ووطني غيور صادق ونصير للاصلاح ومحب

المتقدم ووزير من ابناء هذا العصر بكل معاني الكلمة مثل سعادته ولاسيما بعد ما اختبر سيفي نظارة المعارف ما اختبر حتى عرف منها ما ظهر وما استتر واصبح اقدر من سواهُ على اتمام الاصلاح الذي ادخل الى المعارف قبلهُ واتمام الاصلاح الذي ادخلهُ اليها بنفسهِ والذي يبذل الآن قوى عقلهِ وجسمهِ في ادخالهِ

ولقد ازددنا رجاء بعد بقائهِ في منصبهِ انهُ يبلغ يوماً الشأو الذي يستحقهُ بكفاءتهِ وسعيهِ ومقدرتهِ ويدرك الغاية التي تليق بنفس كبيرة مثل نفسهِ ويخدم الامة الخدمة المرجوة من رجل في عقلهِ وعلمهِ ومقدرتهِ وهمتهِ

واما سعادة رشدي باشا فتعيينهُ للحقانية يسر كل من يحب وضع الامور في محلها اذ هو قاضٍ في علمهِ واخلاقهِ وانوالهِ واعمالهِ ومعاملاتهِ فقد خلق للقضاء واعظم خدمة ترجى منهُ للحكومة والامة خدمة القضاء حيث لهُ القول الفصل وحكمهُ لا يصدر الا عن خبرة وعلم

واما سعادة محمد باشا سعيد فالحق يقال انهُ اظهر مقدرة ادارية عظيمة من وجوه عديدة مع وجودهِ في القضاء . ونحن ندعو لهُ بالتوفيق ونؤمل لهُ النجاح في منصبهِ الجديد الذي يتحمل فيهِ اعباء مسؤولية ثقيلة

واما سعادة سري باشا فكلامنا عنهُ بعد الآن تحصيل حاصل او كلاماً على غير طائل بعد المقالات والفصول والرسائل العديدة التي انشأها المقطم والمقتطف في بيان صفات هذا العالم المندسي العظيم والموظف الصادق الامين من عشرين سنة الى اليوم . وانما نقول ان تعيين سري باشا لنظارة الاشغال العمومية كان من قبيل اعطاء القوس باريها فانهُ لا يختلف اثنان من عارفي فضلهِ وقدر علمهِ انهُ من اليق ابناء مصر بهذا المنصب وانهُ انما تقلدهُ بكدهِ وجدهِ وعلمهِ وفضلهِ وحسن ادارتهِ وانهُ لو كان كل من يتقلد منصباً يتقلدهُ عن حق واستحقاق مثلهُ لكانت مصر قدوة سائر البلدان في تقليدها المناصب للاكفاء دون سواهم

وسعادة حشمت باشا موظف مجرب في سلك القضاء وسلك الادارة معاً وهو من ابناء مصر الذين امتازوا على الاقران في كبر الهمة وحدة الذهن وسعة الادراك فعسى ان نرى منهُ في منصبهِ الجديد اهتماماً يشعر بوجود القوة الوطنية بجانب القوة الاحتلالية في نظارة المالية

غير ان الامرين الذين تشكو منهما مصر الآن ولا ترى منجاة لها الا بالنجاة منهما وهما الضائقة المالية واختلال الامن العام لا توفق هذه الوزارة الى ازالتهما الا اذا اعادت هيبة الحكومة الى النفوس وازالت كل اسباب التهييج والاغراء فيخاف الاشقياء سطوتها وتعود اوربا الى اتمان القطر المصري على اموالها كما كانت تفعل من قبل . ثم ان مجالـــ

الاصلاح لا يزال واسعاً جداً ومعايش السكان لا تزال ضيقة وابواب توسيعها ميسورة في البلاد اكثر من مليون فدان تحتاج الى الترع والمصارف لزرعها . وسكك الحديد الموجودة لا تفي بعشر الحاجة . والتعليم لا يزال قاصراً عن الغاية المطلوبة . والصنائع الوطنية لا تزال في مهدها وليس لدى هذه الوزارة شيء من المشاكل الخارجية فالامن في السودان موطَّد الاركان والنيل خاضع لارادة مهندسيه وعلاقات مصر مع كل البلدان الخارجية على غاية الصفاء والوئام فلا شيء يشغل بال هذه الوزارة عن الاهتمام بالمصالح الداخلية وعسى ان لا نسطّر لها الاَّ آيات المدح والثناء

عمارة اليابان

انشأت جريدة السينتفك اميركان مقالات ضافية بحثت فيها عن عمارات الدول البحرية الكبرى بحثاً مدققاً وقالت انها الآن على هذا الترتيب اقواها انكلترا وتليها الولايات المتحدة الاميركية فالمانيا فرنسا فاليابان . اي ان اليابان بنت الامس اصبحت الدولة الخامسة بين الدول البحرية الكبرى وفاقت روسيا وايطاليا والنمسا وهولندا واسبانيا وتركيا وكل ما سواهن من الدول . هذا من حيث عدد البوارج والطرادات وكل السفن الحربية واما من حيث تمرُّن رجالها على الحروب البحرية فتكاد تكون الاولى بين دول الارض

ابتدأت هذه الدولة تظهر قوتها منذ عشرين سنة وكان اسطولها حينئذٍ مؤلَّفاً من ثلاثة طرادات في كل منها مدفع كبير قطر فوهته ١٢ بوصة ونصف واحد عشر مدفعاً صغيراً من المدافع السريعة الطلقات وطراد مدرَّع محموله ٢٤٧٠ طناً وبهذه العمارة الصغيرة محقت اسطول الصين واظهرت من المهارة في ادارة سفنها ما ادهش اوربا . ولما قامت عليها فرنسا والمانيا وروسيا وانتزعن منها بورت ارثر التي غنمتها من الصين اخذ منها الغيظ كل مأخذ فدفعها الى بذل النفس والنفيس في تقوية بحريتها حتى لا تعود دولة من دول الارض تعتدي عليها وكان من امرها انها استطاعت بعد عشر سنوات ان تتغلَّب على الاساطيل الروسية وتمحقها محقاً

وكانت تبني بوارجها كلها في اوربا فصارت تبنيها الآن في بلادها واكثر بوارجها القديمة مبني في فرنسا والحديثة في انكلترا ولذلك هي اشبه بالبوارج الانكليزية منها بغيرها . وقد زادت همة بعد حربها مع روسيا وبنت بوارج ليس اكبر منها بين بوارج الدول